مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

حركة الجهاد الإسلامي في إسبانيا خلال الفترة الممتدة من 1499م وإلى غاية سنة 1609م: "الآليات والدوافع"

Islamic Jihad movement in Spain from 1499 to 1609 "Mechanisms and manifestations"

اسم ولقب المؤلف المرسل: دوبالي خديجة- Doubali Khadidja صص328-346
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة محاضرة أ في التاريخ الحديث- جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر).
البريد الإلكتروني: doubali_histoire@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2020/12/28 تاريخ المراجعة: 2021/01/06 تاريخ القبول: 2021/01/29

ملخص: يعتبر حدث تسليم غرناطة "Granada"بالنسبة للملكين ايزبيلا "Isabella" وفرناندو "Fernando" وللكنيسة الكاثوليكية الحليف المباشر للاسبان بمثابة انتصار سياسي وعسكري لا غير، أما الانتصار الأكبر والأشمل بالنسبة لهم فكان لا بد من أن يكون انتصارا دينيا، لأن رغبة هؤلاء تكمن في تحقيق الوحدة الروحية والدينية، والتي قد تكون بالنسبة لهم أسمى وأهم من الوحدة السياسية، وذلك بحسب منطق ذلك العهد؛ لكن مثل هذه الغاية لا يمكن أن تتحقق إلا على جسر التنصير الإجباري باستخدام شتى الوسائل والسبل.

في ظل هذه المستجدات الخطيرة كان على الأقلية المسلمة المنبثقة من تلك الحضارة المهزومة، أن تستجيب إلى ثلاثة خيارات إما التنصير أو الجلاء. أو الموت؛ فهناك فريق اختار اعتناق النصرانية الكاثوليكية كرها وظاهريا فقط، فيما احتفظ بإيمانه المقدس للإسلام خفية خوفا من المواجهة المباشرة، في حين فضل الفريق الثاني الهجرة من أرض الوطن نحو دول المغرب العربي، أما الفريق الثالث فقرر رفع لواء الجهاد أملا في استرداد ما ضاع منه أو على الأقل دفاعا على مقومات شخصيته الإسلامية.

ولعل الدافع الرئيس لاندلاع حركة الجهاد الإسلامي في اسبانيا يكمن في عمق إحساس مسلمي اسبانيا تجاه وطنهم الذي فرضت عليهم سياط القهر والتعسف مغادرته وقطع أواصر انتمائهم به، إنها محاولة اجتثات بالقوة لقلع ما تبقى من ثمالة حضارة دكت وانهدت، إلا أن هذه الفئة المغلوبة على أمرها أرادت أن تراهن بآخر نفس لها، لذا كان عليها أن تختار الطريق الأصعب، طريق المواجهة المسلحة ورفض أمر الواقع. لهذا سوف نجدهم يعلنون تمردهم ويرفعون احتجاجاتهم الساخطة المتعالية في كل منطقة عرفت حضورهم

على طول الأعوام الرابطة بين تاريخ 897هـ/1492م وإلى غاية تطبيق قرار الطرد 1004هـ/1609م، طيلة هذه السنوات كان لسان حالهم هو المقاومات الشعبية المسلحة والمنظمة والمدربة كلسان حال ناطق في وجه زبانية محاكم التفتيش التي كانت الخصم والحكم في الوقت نفسه.

الكلمات المفتاحية: الجهاد الإسلامي؛ اسبانيا؛ مسلمو اسبانيا؛ السلطات الاسبانيه؛ محاكم التفتيش؛ النبواءات؛ الجفر؛ قصص المغازي؛ الدوافع الدينية؛ الدوافع السياسية.

Abstract: *The grenade pass occurred for King Isabella and Fernando and the Catholic Church, a direct ally, as a political and military victory only, but the biggest and most complete victory for both monarchies had to be a victory Religious because the desire of these parties lies in the realization of spiritual and religious unity, which for them is higher and more honourable than national unity, according to the logic of this covenant, but such an end can only be achieved on the bridge of the mandatory Christianization of every living being on the back of the Iberian Peninsula, from there we find them moving to Accomplish their mission to its most difficult and dangerous aspects, which is to evangelize, exterminate or expel Muslims defeated from the land that was their homeland and have no other home.*

Faced with the intransigence of the Spanish political and religious authorities, this minority from this defeated civilization had to respond to three options of evangelization, death or evacuation; There is a group that has chosen to embrace Catholic Christianity voluntarily only externally, while keeping its sacred faith of Islam hidden. banner of jihad in the hope of recovering what has been lost to it, or at least to defend the foundations of its Islamic personality; Perhaps the main motive for the break-up of the armed Islamic resistance movement lies in the depth of the feeling of the Muslims of Spain towards their homeland, which was imposed on them by the whips of oppression and the arbitrariness of leaving and cutting the bonds of belonging to it, it is an attempt to force the force to remove the rest of the fruit of a civilization that has been dewast.

That is why we will find them by raising their rebellion and their disgruntled protests in all regions known for their presence, whether in northern Spain or in the south in the Mountains of Pujarras, the latter witnessed the Fiercest armed resistance, which increased the age of Islamic presence in Spain, extending throughout the league years. Between 1492 until the decision of expulsion in 1609, throughout this period, the only way was resistance to hunting and injustice of courts of inquiry, which were the adversary and the arbiter at the same time, as The will was in the name of the father, son and spirit of Jerusalem, as they claimed, and in the name of His

Holiness the Pope Crusader, who aggravated things to feed a regime intolerance and hatred.

Keywords: Islamic Jihad; Spain; Muslims of Spain; Spanish authorities; Courts of inquiry; Al-Jafr; Prophecies ; Histoires of Maghazi; religious motives; political motives.

مقدمة: كان سقوط غرناطة "Granada"- آخر قلاع المسلمين في إسبانيا- سنة 897هـ/1492م نذيرا بسقوط صرح الأمة الأندلسية الديني والاجتماعي، وتبدد تراثها الفكري، فكانت مأساة المسلمين هناك من أفظع مآسي التاريخ؛ فقد شهدت تلك الفترة أعمالا بربرية ارتكبتها السلطات الاسبانية "لتطهير" إسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين، وإبادة تراثهم الذي ازدهر في هذه البلاد زهاء ثمانية قرون من الزمان.

فقد برهنت الأبحاث التاريخية الجادة بأن الحصار الذي فرض على المسلمين هناك، وإجبارهم على الدخول في النصرانية قهرا قبل طردهم نهائيا سنة 1004هـ/1609م ليس فقط لحقد عنصري، بل لحقد ثقافي وحضاري كذلك امتد لعصور غابرة بدأ مع الحروب الصليبية. ومع هذا كله فقد حافظ هؤلاء المضطهدين دينيا وعرقيا على حضارة أجدادهم ضمن ثقافتهم الخاصة. وما كانوا ليستطيعوا أن يصمدوا أمام هذه الأوضاع لولا رفعهم "للتحدي" الذي فرض عليهم، واستجابتهم "للمبدأ الناظم" لحضارتهم، المتمثل في تشبثهم بدينهم الإسلامي. ولا عجب في ذلك، فالحضارات لا تبلغ غاياتها القصوى، إلا عندما تنطوي على دين أو ما يشبه الدين الذي يحدد قيمتها ونظرتها الشاملة.

من المعروف أن مختلف الحضارات تنتج تصوراتها، وتجهد في تأسيسها وتدعيمها بحثا عن الوحدة والتطابق ونفيا لكل تعدد واختلاف، كما تضطر داخل ثقافتها وبواسطتها، إلى تشكيل تصورات مختلفة عن الحضارات الأخرى خاصة تلك التي تدخل في صراع معها وتروم تقويضها والقضاء عليها ولا عجب في ذلك فالغيرية هي التي تؤسس الهوية وليس العكس. وعلى الرغم مما عرفه مسلمو اسبانيا وعاشوه من ضروب الاضطهاد الذي سامتهم إياه مختلف المؤسسات الدينية والسياسية بهدف تنصيرهم واجتثاثهم من الهوية العربية الإسلامية وتهميشهم وتجهيلهم، إلا أنهم لم يستسلموا لكل ذلك وعملوا على مواجهته سواء بالطرق السلمية أو المسلحة؛ فقد شهدت اسبانيا اندلاع العديد من حركات الجهاد الإسلامي في مختلف ربوع البلاد.

انطلاقا مما ذكر أعلاه فإن موضوع بحثنا هذا سيسلط الضوء على أهم الآليات التي وظفها قادة وزعماء المقاومة الإسلامية المسلحة في سبيل تعبئة كل الجماعة المسلمة في اسبانيا في محاولة منا تقييم المسار التاريخي لهؤلاء المقصيين في أبعاده السياسية والدينية والأدبية والإجتماعية، بوصفه تاريخ مواجهة بين انتماءين حضاريين، في روحه العامة، وتاريخ تثاقفهما في بعض لحظاته وتفصيلاته.

الهدف من هذا التتبع تخليص كفاحهم المسلح من بعض التصورات الاستشرافية والتصورات العربية الإسلامية على حد سواء، هاتين اختزلتاه معا في التعبير عن احتدام الصراع الحضاري بين الإسلام والنصرانية دون النظر في تحولاته واختلافاته، مع العمل على تخليصه كذلك من كل المزاعم المغلوطة. فموضوعنا هذا ينطلق من افتراض يذهب إلى أن تلك المقاومة تسمح لنا بالحديث عن وجود تنظيم سياسي وعسكري داخل الجماعة المسلمة في اسبانيا، من حيث كونه إسلاميا وعربيا وسنحاول الدفاع عن هذا الافتراض بتناولنا لمفهوم هذه المقاومة عند أهلها وتسليط الضوء على الآليات الموظفة لتفجيرها وتحليل دوافعها.

بما أن كل بحث يحاول من خلاله الباحث التأسيس لفكرة ينطلق من خلالها حتى تتبلور لتصبح دراسة قائمة بذاتها، فكان لابد له أيضا أن ينطلق من اشكالية تكون الأساس لبحثه، بحيث اعتمدنا في معالجة موضوعنا هذا على إشكالية عامة تمثلت فيما يلي: ما هي الآليات التي اعتمدها مسلمو اسبانيا في تفجير المقاومة المسلحة في اسبانيا خلال الفترة قيد الدراسة؟ وما هي الدوافع المحركة لاندلاعها؟

2- الآليات المحفزة للجهاد في إسبانيا: فرض الله الجهاد في السنة الثانية من الهجرة سعيا لنشر العدل والمساواة بين البشر في الحقوق والواجبات تحت شعار واضح أجمله الحديث الشريف لسيد الخلق محمدﷺ: "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب"؛ فلا عنصرية بغيضة ولا طبقية مقيتة. كما عبر القرآن عن ذلك بوضوح في قوله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"[1] وبما أن الأمة الأندلسية هي جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي فكذلك اعتقد أهلها حق اليقين أنه لا مفر لهم من رفع

لواء المقاومة المسلحة ضد الطغاة المستبدين بعدما استنزفوا كل السبل للوصول إلى حلول سلمية تضمن لهم حرية العقيدة والعيش الكريم في وطن اختفت فيه كليا سمات التعايش السلمي الذي عرفته في عصور مضت.

2. 1- نظرة مسلمي إسبانيا للجهاد من خلال مخطوط العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله: لما كانت رسالة محمد ﷺ للناس كافة فكان لزاما عليه السعي لرفع هذا الظلم عن الناس كافة ومواجهة هؤلاء الطغاة في أي مكان ومهما كلف الثمن فكان فرض الجهاد على المسلمين لتحقيق مقاصد الدين السامية، لينشر الإسلام بين أهل البلد الذين أعلنوا الحرب ضده، مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"[2]

كذلك اعتقد مسلمو اسبانيا[3] الذين اصطلح على تسميتهم في مختلف الدراسات التاريخية بـ"الموريسكيين"[4] هؤلاء عاشوا تحت ويلات القمع الجسدي والنفسي الذي سلطته عليهم محاكم التفتيش[5]، ومن بين النماذج الدالة على ذلك نذكر المدعو "بن زكريا بن محمد بن غانم بن أحمد ابراهيم" وذلك عندما دون هذا الأمر في كتابه الذي تم انتاجه باللغة الأعجمية[6] والموسوم بـ"**العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**"[7] إذ ذكر بهذا الصدد أن قتال العدو وصده عن بلاد الإسلام إن دخلها أو هم بدخولها واجب، كما يجب على أهل بلد هاجمهم العدو أن يدفعوه (يقاتلوه)، فجهاد الدفع أوسع من جهاد الطلب وأعم وجوبا[8].

الرأي نفسه أيده مترجم المخطوط المذكور أعلاه من الأعجمية[9] إلى العربية أبو قاسم الحجري[10]، الذي استند في وجوب جهاد الكفار بالسلاح بمجموعة من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية، على أن اعتماد هذه المصادر كانت قصد اقناع كل من كان مترددا أو متخوفا من رفع لواء الجهاد ضد أعداء الله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتخاذها كوسيلة دعائية لإثبات مشروعية جهادهم. ومن بين الآيات التي وظفها بن زكريا بن محمد في هذا المؤلف والحاثة على الجهاد[11] نذكر قوله عز وجل في محكم تنزيله: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"[12] وقد وردت الآية الكريمة مشكلة من المصحف الشريف كالآتي:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ"[13]

كما استند صاحب المخطوط في اثبات شرعية الجهاد المسلح ضد الإسبان بأقوال سيد الخلق محمدﷺ، من ذلك قوله ﷺ: "اعلم أن الجهاد ركن عظيم في الإسلام"[14] حتى قالﷺ: "ما تواطأ قوم على ترك الجهاد ابتلاهم الله فيما بينهم وقد شهد هذا في الدنيا والجهاد فيه خير كثير اذا كان من النبي ﷺ قولا وفعلا". أيضا استند على حديث آخر جاء نصه كما يلي[15]: "قال رسول اللهﷺ: "إن في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض"، وعنه قالﷺ: "المجاهد في سبيل الله كمثل الصايم القايم القانت"[16].

أيضا وظف بعض النصوص التاريخية للتحفيز على الجهاد عبرة بالسلف من المجاهدين فمن بين ما كتبه في هذا المقام نذكر ما نصه" فالملوك المسلمون رحمهم الله فأنعم الله عليهم في الدنيا والاخرة حتى قتلوا الكفار المشركين لتكون كلمة الله هي العليا ونصرهم وتبت اقدامهم بالوقوف مع ما امر الله به في دينه الحق"[17]. انطلاقا مما ذكر أعلاه كان الجهاد في سبيل الله فرضا، مصداقا لقوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُون"[18] وقوله أيضا سبحانه وتعالى: "انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"[19]

2.2- النبوءات ودورها في تحفيز مسلمي اسبانيا على الجهاد: أنتج مسلمو إسبانيا ضمن سجلهم النثري[20]، الكثير من النبوءات للاستعانة بها على التمسك بهويتهم العربية والإسلامية، ومواجهة القهر والتنصير القسريين الذين أخضعهما إليهما النصارى في إسبانيا، مدغدغين بذلك أحلامهم بقرب استرداد[21] أندلسهم الضائعة، وفردوسهم المفقود على يد هؤلاء الغاصبين. وللدفاع على هذه النبوءات بين أوساطهم وتدعيمها في مخيلتهم لم يترددوا في نسبتها إلى بعض العباد والصالحين، وإلى حسابات فلكية زعموها[22]، وإلى القديس سان إزيدرو، وحتى إلى الرسول محمد ﷺ.

قياسا على ما ذكر أعلاه سوف نعرض بعض النماذج لهذا النوع من النبوءات التي تنبأت بالأوضاع المستقبلية، فمن بينها تلك التي بلغت إلى علم محكمة التفتيش بطيطلة "Toledo"بواسطة أحد مسلمي المنطقة ما نصه: **"أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بكى ذات يوم، فلما سأله أصحابه عن أسباب حزنه أجاب قائلا: لأنه سيأتي يوم يحتل**

فيه المسلمون أرض المسيحيين ثم يأتي يوم آخر يسترجع فيه المسيحيون هذه الأرض، وبعدما يسترجعون غرناطة سوف يفرضون المسيحية على المسلمين ويلحقون بهم الأذى ويعرضونهم إلى العذاب"[23].

من خلال ما ورد في نص هذه النبوءة المنسوبة إلى النبي ﷺ نلاحظ تفاؤل صاحبها بفرج الله الذي لن يطول، فلا بد في نظره من التحلي بالصبر الذي سيكون زادهم وقوتهم في الصمود والمقاومة ضد أي محاولة للانسلاخ من مقومات شخصيتهم الإسلامية؛ وأن هذا الفرج سيتم انجازه من طرف قوة لم يصرح بها صاحب النبوءة ولكن احتمالا تكون الخلافة العثمانية[24] هي المشار إليها في هذا النص الذي ورد فيه ما يلي: **"... هذا العذاب ستكون له نهاية طيبة حيث سيأتي فجأة محرر لا بد من الاعتراف به..."**[25].

من خلال المعطيات الواردة في نص هذه النبوءة نستنتج أن مسلمي اسبانيا حاولوا الاستناد إلى معنى العام لبعض الأحاديث المروية عن النبيﷺ، آخذين بالنظرية القائلة معرفة الداء هو السبيل الوحيد لإيجاد الدواء. ثم بعدها يبشر صاحب النبوءة بحدوث الفرج القريب تحفيزا وتشجيعا لهم على الصمود والثبات.

2.3- الجفر في مؤلفات مسلمي اسبانيا: لقد كانت المحنة التي مر بها مسلمو اسبانيا باعثة على اليأس؛ مما جعلهم يبحثون عن ملاذ لهم في ابتكارهم لحيل مدهشة تمكنهم من احتمال الوضع وتمنحهم بعض المتعة والفرح؛ لذلك انغمسوا في كتب الجفر (aljofores)[26]، ويعد هذا الأمر من الأبعاد المدهشة والمثيرة للاستغراب في الأدب الألخميادو، كما أنه يعد مثالا مثيرا على التفكير الرغبي الجمعي. إذ بات الجفر كلمة تستبطن في طياتها معنى الغيب ويغلفها ستار من الغموض، ومع غيبية الباطن وغموض الظاهر، يعيش الجفر في أذهان هؤلاء المضطهدين فيحدثونك عن المستقبل وعن أحداث تقع هنا وهناك مما ينبئ عن أن عصر الخضوع لمنطق المادة لم يؤثر في ارتباطهم بالغيب، فلم تحتل المادة كل الأفق الذي يشغله نظرهم، بل هم يرون بارقة نور تبشر بعصر تخضع فيه المادة لمنطق الحق والعدالة .

ويعتبر الجفر أحد ركائز المعتقدات الباطنية للشيعة، إذ يطلق عندهم على علم من العلوم الغيبية المبنية على أسرار الحروف، ومنها يستدل على الحوادث المستقبلية حتى قيام الساعة ويدعي المشتغلون به كذبا وبهتانا أنه علم أسره النبي ﷺ، إلى الإمام علي بن ابي

طالب رضي الله عنه، وأمره بتدوينه، فكتبه الإمام حروفا متفرقه، وأخذه جعفر الصادق عنه، والحق أن واضع هذا الكتاب هو هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية في عصره الذي ادعى روايته عن جعفر الصادق[27]. لكن مع هذا الانحسار في ضيق الرؤية بالنسبة للآثار الأدبية فإننا نستطيع تسجيل حضوره منعكسا على بعض الأعمال الأدبية البارزة التي ظهرت مع مطلع العصر الذهبي بالنسبة لتاريخ الأدب الإسباني، فقد تجلى هذا التأثير واضح المعالم في الأعمال القصصية المعروفة بقصص الفروسية التي طبعت العصور الوسطى بنزعتها الاحتفائية المشحونة بالخوارق والطقوس، فنجد انعكاس الوهج الإسلامي المقاوم واضح السمات على هذه القصص.

من بين النماذج التي كتبت بهذا الصدد نذكر: **"يا جبل طارق الدخول عليك واحتلالك هو نهاية المطاف. وهذا يفهم فيه أنه في سبتة وطنجة والقلاع وجميع المناطق لا يبقى منها شيء وكلها يقع عليها الاحتلال واسبانية ومالقة تعود إلى زراعة وتكون سعيدة بشريعة الإسلام، ويدخل الذل بلدتي المنكب وبليش وتداس عجرفتهما التي اكتسباها بالهرطقة وكذلك قرطبة تداس أيضا بسبب ذنوبها وخطاياها"**[28].

من خلال ما ورد في هذا الجفر نلاحظ أنه يحمل الكثير من الحقائق التاريخية، حتى وإن كان مصدرهما يعتبر من المصادر الباطلة في نظر الشرع بناء على نصوص من القرآن والسنة. ومهما يكن فعقيدة الجفر عقيدة باطلة، لأنها حسب قولهم من العلوم الغيبية التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، حتى أن رسوله ومصطفاه ﷺ، أمره مولاه جل وعلا بتقرير ذلك بنفيه علم الغيب عن نفسه إلا بما يوحى إليه من ربه فما بالك بغيره ﷺ؟ من هذا المنطلق فهل اقتباس هذه الجفور التي هي شيعية المصدر من طرف مسلمي اسبانيا هو نتيجة لتأثرهم بالشيعة أم كان لضرورة اقتضتها الظروف الراهنة التي كان يعيشها هؤلاء؟

4.2- على بن أبي طالب رمز من رموز المقاومة في التراث الألخميادي: تتحدث الكثير من كتب السيرة عن على بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد برزت تلك الشجاعة في مواطن كثيرة، خاصة في موقعة بدر الكبرى. ورغم أن كتب السيرة تنسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه شمائل كثيرة كالتواضع والعلم والتقوى، إلا أن مسلمي اسبانيا كانوا يبرزون شجاعته بشكل خاص، بل وقد وصل غلوهم في هذا الأمر إلى أن نسبوا إليه بطولات خارقة.

إن المخطوطات التي تعرض هذا الأمر كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في نص مخطوط ألخميادي حول هذا الموضوع[29]: "**...كانت شجاعته منقطعة النظير، حتى أنه "وهو يمتطي جواده كان يساوي ألفين من الفرسان، وكانت قوته خارقة، فكان يقسم فارسا وحصانه إلى نصفين بضربة واحدة.... وفي بعض الأحيان كان على يكر بمفرده على جيش كامل ويفعل به ما تفعل النار في الهشيم...**"[30]

كما ورد في نص مخطوط ألخميادي آخر ما يؤكد الاتجاه نفسه، جاء فيه: "**وأعقبه (في الخلافة) سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، زوج السيدة فاطمة رضي الله عنها، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان أشجع من عرف من المحاربين، فقد كان يظهر في أية موقعة فحتى لو كان غائبا في مكان بعيد كان الله يرسله وكان يظهر بين الناس وحقق النصر في كل المعارك، وهو الذي يظن النصارى أنه سانتاغو وهم مخطئون**"[31].

نستطيع أن نفسر تركيز مسلمي اسبانيا على الجانب الأسطوري في بطولات علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالظروف الخاصة التي كانوا يعيشونها؛ فلقد بذلوا كل ما في وسعهم للتخلص من اضطهاد السلطات الاسبانية، ولم يعد أمامهم سوى انتظار معجزة إلاهية. ويفسر أيضا الحديث عن معجزات يجريها الله سبحانه وتعالى على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كذلك نجد مثل هذا التأثير ملحوظ الأبعاد في قصة "كتاب المعارك" وهو بمثابة مجموعة من المرويات ذات الطابع الملحمي الفروسي المشحون بالتكثيف الأسطوري حيث أعطت قسطا وافرا لتروي أحداث المغازي الإسلامية بكل اندفاعاتها القوية التي قهرت الامبراطوريات وأطاحت بالجبابرة كل ذلك ضمن اطار خرافي تقف في حكايات شيقة كقصة "الامام علي رضي الله عنه وتصديه للتنين" وهذا العمل القصصي الشيق نجده ما يزال محفوظا بالمكتبة الوطنية بمدريد في مخطوط تحت رقم 3226.

فمثل هذه الأعمال الأدبية التي شارك في نسيج بنائها الدرامي الفكر الديني الإسلامي في اسبانيا النصرانية والذي اعتمدها مدونوها لبعث الهمم الإسلامية وسط الأقلية المضطهدة حتى تقف كوجه من وجوه المقاومة التي تأبى الرضوخ للأمر الواقع ومن منطلق هذه المآثر التي تغذي في المسلم روح المجاهدة والثبات.

5-2- قصص المغازي ودورها في اذكاء روح المقاومة الإسلامية: اهتم مسلمو اسبانيا بالتأليف فيما تعارف عليه عند المختصين بـ"المغازي"؛ فلقد ترك لنا هؤلاء، ضمن سجلهم النثري، نتاجا أدبيا، لم يلتفت إلى هذا الأمر، ليصر على تمحوره حول ذاته الخاصة وتقوقعه فيها؛ تشبثا منه بهوية مهددة. فقد استجاب هذا النوع من الأدب الألخميادو في أصله إلى هذه الاستراتيجية التي أملتها عليه سياقات وجوده التاريخية، المتميزة باضطهاد السلطات الإسبانية له ولأهله، ومراهنتها على اجتثاثهم عن هويتهم واستيعابهم في هويتها والقضاء المبرم عليهم. لذلك، حفل السجل المذكور بعدد هائل من الكتب التي عملت على مواجهة هذه السلطات لإنقاذ تلك الهوية والمحافظة عليها.

ضم هذا السجل مجموعة من الحكايات عملت على التذكير بالماضي الإسلامي وبإنجازات الفتوحات، وبإمكانية وقوع المعجزات بالاعتماد على الصمود والإيمان بالله. لهذا فبالإضافة إلى البعد الأدبي للمغازي فهي كذلك ذات بعد عسكري وديني، ونوع من الخطاب الحماسي غير المباشر في تلك الفترة التي شهدت عدة حركات مقاومة إسلامية؛ إلا أن كتابة هذه الحكايات من طرف مسلمي اسبانيا خلال القرن 10هـ/16م لا ينفي وجودها سلفا كحكايات شفهية.

من بين الانتاج الأدبي الذي خلفه مسلمو اسبانيا بهذا الصدد نذكر "**كتاب المغازي الموريسكية**"، وهو عبارة عن مجموعة من الحكايات الملحمية مجهولة المؤلف، والتي تروي أحداث بعض غزوات العهد الإسلامي الأول، وتتخذ لها كبطل رئيس عليا بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد كتبت هذه المغازي خلال القرن 10هـ /16م باللغة الألخميادية. فكتاب "المغازي الموريسكية" يضم تسع حكايات تختلف في أزمنتها وأمكنتها لكنها تلتقي في موضوع واحد وهو الغزوات الإسلامية. وسيكون لنا وقفة مع حكايتين من هذا الكتاب.

أما الحكاية الأولى، فتحكي عن ملك اليمن الحارث الغساني الذي بعث إليه رسول الله ﷺ رسالة مع زيد. فلما سمع الحارث الرسالة التي قرأها عليه أحد بطارقته، احتار في أمره، قام عجوز فنصح الملك ألا يخرج لمحاربة النبي ﷺ وارسال عمرو بن معد يكرب الزبيدي لملاقاة النبي ﷺ. فعمل الحارث بنصيحة الشيخ. وقد خرج الرسول ﷺ بجيش تعداده اثني عشر ألف جندي، وخرج عمرو بجيش قوامه عشر آلاف مقاتل؛ ولما التقى الجيشان بدأت المعركة بينهما، ولكنهما تفرقا، وبعد مدة من الزمن التقيا من جديد فهزم علي رضي الله عنه

عمرو، فأمره النبيﷺ بأن يدخل في الإسلام فرفض أن يفعل تحت القوة، فأطلق النبي ﷺسراحه بأمر من الله. ثم عاد عمرو في اليوم الموالي رفقة مائتين من رجاله فأسلموا جميعا. وبعد ذلك عاد عمرو إلى الحارث وأخبره بإسلامه ونصحه بدوره أن يسلم فأسلم هو و من عنده[32].

في حين تدور مجريات الحكاية الثانية حول إحدى أشهر الغزوات وهي غزوة حنين، رغم أن الحكاية تحمل عنوان آخر وهي "معركة بدر وحنين". وملخص الحكاية أن مالك بن عوف النصري بعد ما سمع بغزو الرسول ﷺلمكة وتحطيمه للأصنام، دعى جميع القبائل للتحالف معه ضد محمدﷺ. فاجتمعت له قبائل بني النضير ومزيان وبنو عامر وبنو الملوح، إضافة إلى قبائل هوازن وثقيف. وكان عدد الجيش ثلاثين ألفا ما بين فارس وراجل. وجاء إبليس في هيئة فارس فحكى لهم ما فعل الرسولﷺ في مكة فزاد غضبهم. وجاء أعرابي إلى النبيﷺ فأخبره باستعداد مالك لمهاجمتهم وجاء جبريل عليه السلام فأكد كلام الأعرابي؛ حينئذ جمع الرسولﷺ الناس وأمرهم بالجهاد. فخرج في جيش مكون من اثني عشر ألف جندي، وفي الطريق نحو مالك لقي المسلمون ثعبانا ضخما بوادي، كانت عليه شجرة ضخمة كانت تعظمها قريش، حيث كلمه الرسولﷺ فأخبره بأنه جني مؤمن جاء صحبة اثني عشر ألف جني للجهاد[33].

كان هدفنا من خلال هذا التلخيص المختصر للحكايتين، هو إبرازهما في شكلهما العام بغية التقرب من مضمونهما حتى يتسنى لنا رصد بعض جوانبها التاريخية والتي تطرقت إليها كتب السيرة؛ فمن خلالها تم إبراز بعض من التراث الألخميادي المكتوب وكذا مظاهر ارتباط مسلمي اسبانيا بالسلف الصالح وبالعهد الإسلامي الأول في خضم محنتهم، حيث لجأوا إلى مختلف الوسائل المتاحة والممكنة من أجل تحفيز بعضهم البعض في مواجهة حملات الإبادة والاقصاء التي تعرضوا لها على يد محاكم التحقيق والتي لازال التاريخ يحتفظ بها ويسجلها.

2. 6- شخصية المنقذ في الكتابات الموريسكية: يعتبر الانتاج المخطوط من أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في البناء التاريخي لأي موضوع، فمن خلاله يستطيع الباحث تقديم صورة تفصيلية لمواقف معينة، سواء كانت سياسية، واجتماعية، وثقافية، حول حقبة تاريخية معينة، بالرغم ما يعاب على مثل هذه المصادر من أنها تمثل رأي صاحبها، أكثر مما تقدمه من تفسيرات للظاهرة التاريخية المعالجة في المؤلف.

على ضوء ما تم طرحه سنحاول التعرف عن كتب عن مدى الثروة العلمية التي قدمتها المخطوطات الألخميادية في ظل غياب الكتابات العربية التي زامنت الحدث التاريخي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى في ظل طغيان الكتابات الإسبانية، التي مهما شكلت من رصيد مهم في تفسير الظاهرة التاريخية إلا أنها تحمل سموما، كونها شكلت طرفا مهما وحاسما في ذلك الصراع الحضاري القائم في اسبانيا خلال القرنين 10-11هـ/16-17م.

لقد برزت علامات الخلاص ومجيء المنقذ وعلامات ظهوره بحسب ما جاء في روايات مسلمي اسبانيا والتي استمدوها من تراثهم الإسلامي رغم التعميم في الموروث الديني الذي انحرف نتيجة نشاط محاكم التفتيش وقطع المسلم عن تراثه الديني، ومن أهم هذه العلامات التي ترتبط بعصر الظهور والتي سطروها في نبواءاتهم والتي رتبت على أسبقيتها التاريخية. وشخصية المنقذ في اعتقادهم كانت الخلافة العثمانية.

بهذا الصدد سنحاول استقراء بعض النماذج من النصوص التاريخية من مخطوط الألخميادي موسوم بـ"العز والرفعة والمنافع في المجاهدين في سبيل الله بالمدافع" لابراهيم غانم". فمن خلال عنوان هذا المخطوط نستنتج أنه اعتمد على الأسلوب العلمي أكثر من أي أسلوب آخر، إلا أننا سنحاول ابراز الجانب التاريخي منه.

ومن بين النصوص التاريخية الواردة بين ورقات المخطوط، عرض قوة العثمانيين ومدى قدرتهم على فرض السيادة الإسلامية على دول الأوروبية، كما أكد على اعجابهم ودعمهم الكامل لهم، مع عرض فروض الولاء والطاعة، فكتب ابراهيم غانم بهذا الصدد ما نصه: "...سلطان سلاطين الإسلام والدين هو مولانا السلطان مراد ابن السلاطين العثمانيين رحمهم الله تعالى، وأعلى درجتهم في أعلى عليين، سلطان البرين والبحرين ومصر والشام والعراقين، وخديم الحرمين أيده الله بعزيز نصره، وأمده بمعونته ويسره، وخلد جميل ذكره، ونصره وجنوده في ذهابه وإيابه بفضل أولياء الله وأهل دينه وكتابه، واعطاه رضى السلاطين، المرحوم بكرم الله وأجداده الذين أشهر الله بركاتهم في أرضه وبلاده حتى حصلت الروعة الموروثة خوفا منهم في قلوب النصارى والمشركين الكفار أهلكهم الله وأفناهم وأخزاهم وخذلهم ودمّرهم أشد الدمار"[34].

كما حاول تكذيب الأساطير النصرانية القائلة بقرب سقوط الخلافة العثمانية، فكتب حول الموضوع يقول: "وقد شاهدت في كثير من بلادهم وكتبهم وتحققت من خاصتهم

وعامتهم ان الخوف الذي في قلوبهم منهم لم يفارقهم في اليل والنهار وانقطع رجلهم الذي كانوا يرجونه ان الدولة العثمانية يكون انقراضها عند السادس عشر من سلا طينهم واستدلوا بذلك من قول يوحنا الحواري الذي كتب ربع الانجيل ثم كتب كتابا مرموزا يسمى يَنْفِلِبْشِ فتدولوا بعض رموزه على مقتضى غرضهم ومرادهم فاظهر الله بالبرهان ان قولهم كان باطلا وزورا..."[35].

عموما فما يمكن استخلاصه من هذا الانتاج الفكري الألخميادي أنه لم يفتقر هذا النوع من التأليف أبدا، على احتوائه لمواد عقدية وأحكام شرعية، إلى عناصر التشويق التي وعد بها كاتبها جمهوره. وهو الكاتب الذي دل في كثير من فصوله على قدرته السردية وكفاءته الأدبية، المتمثلة عنده في ردف قصصه بعضها ببعض، ليحولها في مجموعها إلى رواية فرسانية إسلامية شيقة متميزة وبدقة رسمه لشخصياته وتوليده لتفاصيل الأحداث والوقائع بهذف غرس الشجاعة وروح المقاومة في نفوس من خلص إلى أن اضطهاد السلطات الاسبانية له ولأهله أضحى أمر واقع.

3- الدوافع المحركة لحركة الجهاد الإسلامي في إسبانيا: سقطت دولة الإسلام بالأندلس فرفع الصليب على أعلى أسوار قصر الحمراء و أدى النصارى صلاة الحمد شكرا للرب على هذا النصر- على حد زعمهم- وقد وعد الإسبان في اتفاقية تسليم غرناطة المسلمين باحترام دينهم وثقافتهم الاسلامية، لكن ما إن غادر أبو عبد الله قصر الحمراء حتى حولت مساجدهم إلى كنائس وقد كان هذا أول بوادر الخيانة في خطة منهم للقضاء على معالم الدين الإسلامي.

أما الخطوة الثانية فكانت سنة 904هـ/1499م حيث تم إصدار مرسوم ملكي يقضي بتنصير كل المسلمين وتعميدهم قسرا وتخليهم على أسمائهم وأزيائهم الإسلامية ولغتهم العربية وكل ما يمت للإسلام بصلة. وفي ظل هذه المستجدات عاش مسلمو اسبانيا حياة مزدوجة[36] التي أرهقت الكثير منهم فقرروا رفع لواء الجهاد المسلح لاستعادة أو على الأقل المحافظة على ما تبقى من مقومات شخصيتهم الإسلامية. ولقد_اجتمعت مجموعة من العوامل التي أدت إلى انسداد كل قنوات الحوار وسبل التعايش بين الطرفين – المسلم والنصراني - ولعل من أهمها نذكر:

3. 1- الأسباب الدينية: لعبت ولا تزال تلعب الأديان ومؤسساتها وسلطاتها، أدوارا عديدة في المجالين العام والخاص؛ ويوظف الدين في العمليات السياسية ويستخدم لأداء

وظائف عديدة في الشرعية السياسية والتبرير للخطاب السياسي لبعض الحكام، ودعم سياساتها الاجتماعية وقراراتها وبذلك فهو يشكل مكونا مهما في سياستها الخارجية أيا كانت دوائر اهتماماتها ومجالاتها، إذ تعتبر ظواهر العنف المادي والرمزي احدى أوجه الصراعات الانسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ فالعنف المادي، الايديولوجي، الرمزي، وظف الدين فيها توظيفا مكثفا وضاغطا بين كافة الأطراف، كل طرف يحاول أن يجحد شرعية الطرف الآخر على أساس ديني أو قانوني أو سياسي.

لقد سعت السلطات الاسبانية جاهدة لتوظيف الدين قصد اصباغ الشرعية القانونية والتاريخية على ما كانت تقترفه من جرائم في حق المسلمين معتمدة في ذلك على محاكم التفتيش[37]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى في محاولة منها لكسب تعاطف الكنيسة والنصارى الكاثوليك على حد سواء بهذف تحصيل الدعم المادى والبشري في حربها الصليبية ضد الإسلام والمسلمين[38].

إذ جاءت المبادرة الأولى التي شارك فيها الساسة ورجال الدين بعد سقوط غرناطة مباشرة، إلى استقطاب المسلمين إلى العقيدة الكاثوليكية، وتلت هذه المبادرة حملة تنصيرهم قهرا، وإذا كان مرسوم عام 907هـ/1502م القاضي بتخييرهم بين التنصير أو الرحيل[39]، فإن القوانين التي صدرت بين916-930هـ/1511-1526م أكدت هذا الاتجاه لتشمل تحريم كل الممارسات والشعائر الإسلامية[40]. أمام هذه المستجدات الخطيرة كان على مسلمي اسبانيا ابتكار آليات واستراتيجيات تمكنهم من الدفاع على مقومات شخصيتهم الاسلامية فلم يكن أمامهم سوي اعلان تمردهم المسلح.

2-3- الدوافع السياسية: مند سقوط غرناطة، أخذت السلطات السياسية والدينية تفرض قوانينها، وبالتالي فرض شرعيتها، إذ كل نظام ليس قادرا ذاتيا على تأمين وسائل وجوده واستمراريته مآله حتما إلى الزوال. انطلاقا من هذه النظرية سخرت السلطات الإسبانية كل الامكانيات البشرية والمادية في سن القوانين ومحاولة تطبيقها بشتى الوسائل. فقد حاولت من خلال هذه القوانين القضاء على الإسلام في اسبانيا ومسخ كل مقوماته، والقوانين الدالة على ذلك كثيرة قد تم التطرق إليها بالتفصيل في جزئيات متفرقة من هذا البحث. وكرد فعل طبيعي حاولت الزعامات الناطقة باسم مسلمي اسبانيا الدخول في

مفاوضات رسمية تسمح لهم بتأمين قانوني للمحافظة على ثقافة الجماعة في أرض نصرانية.

هدفت هذه العزيمة السياسية للجماعة إلى العثور على مخرج سلمي يتفاوض حوله كل الأطراف، قد تم التعبير عنها بشكل واضح خلال المحادثات مع الملك كارلوس الخامس(Carlos V)[41] خلال سنتي 930-931هـ/1525-1526م، وتم التمسك بها منذ الطعنات الخطيرة التي تبنتها السلطة ضد جماعة المسلمين، كحملات التنصير ونزع السلاح الجماعي[42]، لكن كل تلك المحادثات والمفاوضات لم تكن لترضي غرور السلطات الإسبانية وعجرفتها، فواصلت في غيها وظلمها واضطهادها لمسلمي اسبانيا، وكنتيجة لذلك، أصبحت الحلول السلمية غير مجدية، لهذا كان لابد لها من الانتقال إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة العنف المادي.

3-3- **الأسباب النفسية والاجتماعية**: من المعلوم أن لكل فرد ميلا غريزيا إلى التعدي، والذي يصبح بفعل الظروف الاستثنائية ميلا إلى العنف، فصفحات التاريخ مليئة بأحداث العنف النفسي وسياسة التهميش والإقصاء التي عاشها مسلمو اسبانيا تجعل من أي فرد عاش هذه الأحداث يتمرد ليس ليقول لا وإنما ليغير بالفعل ما لم يستطع تحقيقه بالحوار والتفاوض. أما عن العامل الاجتماعي، فالمعلوم في علم الاجتماع أن كل قوة اجتماعية، لابد لها من التعبير السياسي عن نفسها، ولا بد لها من استراتيجية شاملة تناسب حجم مصالحها، سواء في مجالها الضيق أو الواسع، وهذا ما يتطلب الحضور الدائم في الزمان والمكان. فالفعل الاجتماعي هو "صورة للسلوك الإنساني ويكون فعلا عندما يخصص الفرد معنى ذاتيا معينا لسلوكه والفعل يصبح اجتماعيا عندما يرتبط المعنى المعطى لهذا الفعل بواسطة الفرد، بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجها نحو سلوكهم"[43]

ووفقا لهذا المنظور يجب فهم السلوك الاجتماعي أو الظاهرة الاجتماعية على مستويين، المستوى الأول أن نفهم الفعل الاجتماعي على مستوى المعنى للأفراد أنفسهم. أما المستوى الثاني فهو فهم هذا الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي بين جماعات الأفراد وفهم دوافعهم ونواياهم، هنا يرفض الفرد أيضا كلا من الأهداف والوسائل، ولكنه لا يقف عند مجرد الرفض السلبي مثل الانسحاب بل يتعداه إلى الإدانة والسعي نحو تقديم تصور لبناء اجتماعي بديل للبناء القائم، يضم أهدافا ثقافية مختلفة ووسائل أخرى لتحقيقه، فتكون نتائج

الصراع بناءا على الأهداف المسطرة من طرف الجماعات المتصارعة، فكلما كانت أهداف الأطراف المتنازعة غير محددة، وكلما كان الصراع حادا وعنيفا كانت الجماعات المتصارعة بالغة التحديد والوضوح[44]. وكلما ازدادت حدة الصراع، ازداد تضامن كل طرف اجتماعي من الأطراف المتصارعة لأن كل طرف يشعر بأن مصيره واحد ومشترك.

انطلاقا من هظا التحليل لم يكن أمام مسلمي اسبانيا سوى التفكير في مخرج لهذا الوضع الذي في نظرهم لم يعد يحتمل، إذ أصبح الاستشهاد في ساحة المعركة أهون عليهم من البقاء تحت بطش واضطهاد النصارى الاسبان، هؤلاء أعلنوها حربا ضروسا على كل ما كان يرمز إلى انسانيتهم كبشر، وإلى كيانهم كسكان أصليين للبلاد، وإلى شخصيتهم كمسلمين.

الخاتمة: من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية يمكننا أن نؤكد على استمرار المقاومة الاسلامية في اسبانيا، إذ قاوم مسلمو إسبانيا كل أنواع الاضطهاد المعنوي والفكري والجسدي الذي كانت آلة تنفيذه محاكم التحقيق، فابتكروا آليات واستراتيجيات تمكنهم من تحقيق بعض المكاسب.

فكما هو معروف أن لكل قوة اجتماعية، لابد لها من التعبير السياسي عن نفسها، ولا بد لها من استراتيجية شاملة تناسب حجم مصالحها، سواء في مجالها الداخلي أو الخارجي، هذا ما يتطلب الحضور الدائم في الزمان والمكان؛ هذه الاستراتيجية هي التي سوف تكشف، وتعكس المراحل الأكثر أهمية في حياة هذه القوة، مثل حركة التحولات الهائلة التي تؤشر على الانتقال من عصر إلى عصر، ومن حضارة إلى أخرى، إنها المرآة التي يرى فيها الناس أنفسهم، ويقرؤون أفكارهم وأحلامهم وطموحاتهم؛ ويحاولون من خلالها ايصال رسالة إلى محيطهم الداخلي والخارجي معا. لهذا كان لزاما على مسلمي اسبانيا البحث عن وسائل وسبل تمكنهم من البقاء دائما في حالة مقاومة وصراع مع قوة اعتبرت نفسها هي المسير والمقرر لمصير هؤلاء. ومن بين الاستراتيجيات التي ابتكروها انتاجهم للكثير من الأعمال الأدبية والفكرية التي شكلت حافزا مهما وفعالا في تعبئة كل أفراد الجماعة المسلمة لتبني مشروع العمل المسلح؛ فقد توفرت مجموعة من العوامل ساهمت بشكل مباشر في اندلاع الكثير من حركات المقاومة اجتمعت كلها حول هدفين أساسيين، أولهما المحافظة والدفاع

على مقومات الشخصية الإسلامية وسط بيئة معادية، وثانيهما ضمان البقاء في الوطن الأم، وبالتالي شكلت هذه الأسباب القوة الدافعة لهم في محاولة أخيرة لاسترجاع ما ضاع منهم.

الهوامش:

1- سورة النساء- الآية رقم: 135. ---- 2- سورة التوبة- الآية رقم: 123.

3- **مسلمو اسبانيا:** من خلال اطلاعنا على مفهوم مصطلح" الموريسكيين " في مختلف الدراسات لا يمكن لهذه التسمية أن تعني في أي حال من الأحوال أن هؤلاء كانوا متنصرين لأن قسما كبيرا منهم ظل مسلما وعربيا حتى النهاية، لهذا عملت السلطات الإسبانية على تغريبهم من بلادهم مع مطلع القرن السابع عشر ميلادي. ولا توجد لنا ضرورة نحن المؤرخين العرب لتفريق مسلمي الأندلس بعد تسليم غرناطة عن الأندلسيين قبلها فجميع هؤلاء أبناء شعب واحد وهو الشعب الأندلسي، ووفاء لذاكرة شهداء الأمة الأندلسية تفادينا استعمال هذا المصطلح؛ وبحثنا كثيرا لإيجاد البديل عنه، وانتهى بنا هذا البحث في نهاية المطاف إلى اعتماد عبارة "مسلمي اسبانيا".

4- **الموريسكيون:** طرحت بعض الإشكاليات المرتبطة بمفهوم "الموريسكي" "Mauresque" باللغة الفرنسية و"Moriscos" بالإسبانية، من حيث كونه شخصية ثقافية وتاريخية فقد عبرت عما يمكن أن نسميه بـ "الظاهرة الموريسكية" التي وجدت في مرحلة من مراحل تاريخ إسبانيا وعبرت على مجموعة بشرية عاشت تحت وطأة اضطهاد السلطات الإسبانية، فالمصطلح يفيد بذلك حسب حمولته في اللغة والوجدان الإسبانيين: "النصارى من أصل إسلامي"، و"النصارى الجدد" أو النصارى الصغار". كما يفيد كذلك معنى الإسبانيين، الذين رجعوا إلى نصرانيتهم بعدما تخلوا عن الإسلام قهرا . ظاهريا فقط. للإطلاع على تفاصيل أكثر حول مفهوم المصطلح ينظر مرثيدس غارثيا أرينال- محاكم التفتيش والموريسكيون- تر: خالد عباس- تق جمال عبد الرحمان- المجلس الأعلى الثقافي- 2004م.

5- **محاكم التفتيش:** وفي بعض الروايات التاريخية نجد "محاكم التحقيق" فالسبب وأصل التسمية هو "Inquisitio"، من كلمة "Inquiry" التي تعني: تحقيق واستفسار وبحث. إذن، "لجان التحقيق" هي أقرب للمعنى الحقيقي منها "لجان التفتيش" ذلك أن الهدف من هذه اللجان كان التحقيق مع النصارى المتهمين لاستبيان حقيقة موقفهم من الديانة النصرانية الكاثوليكية. لذلك ينبغي أن نوضح حقيقة تاريخية وهي أنه المقصود من خلال هذه العملية هم النصارى الخارجين عن العقيدة الصحيحة في منظور الكنيسة، وقد اختلف المؤرخون حول تسمية هذه المحاكم، فهناك من اختصر نعتها بمحاكم التفتيش، في حين أطلق عليها فريق آخر " ديوان التحقيق". ينظر: محمد عبد الله عنان- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع- ط4- مكتبة الخانجي القاهرة-1987م- ص: 19.

6- لقد سنت السلطات الاسبانية مجموعة من المراسيم تمنع بموجبها تداول اللغة العربية تخاطبا وتأليفا ومعاملة، ونظرا لهذه المستجدات أضحى التأليف باللغة العربية أمرا مستحيلا فلجأ فريق من النخبة الموريسكية إلى التأليف باللغة الاسبانية فيما اضطر فريق آخر إلى ابتكار لغة جديدة اصطلح على تسميتها في حقل الدراسات التاريخية باللغة الألخيمادية، فكانت بذلك وسيلتهم للتعبير على أفكارهم ومشاعرهم والمحافظة على البقية الباقية من تراثهم الديني المكبوت في صدورهم، إذ وجدوا في هذه اللغة المشتقة من القشتالية - المفروضة عليهم - والعربية - المكرهين على تركها - سبيلا للتعبير عن كل ذلك، حيث اختلطت فيها ألفاظ عربية وأعجمية مختلفة من اللهجات القديمة والمعاصرة لهم لاسيما الرومانية أو اللغة اللاتينية"Latin". للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: دي فوانتا سالفارو قلماس- ما المشاكل حول نقحرة النصوص الألخيمادية الموريسكية، الأدب الألخيمادو - الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي- بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات المورسكية - الأندلسية حول : الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخيمادو سياسة محاكم التفتيش تجاه الموريسكيين- ط:1- مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات- تونس- 2009م- ص: 51.

7- بن غانم بن أحمد ابراهيم بن أحمد ابراهيم بن زكريا بن محمد- العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع- مخطوط رقم: 1252- المكتبة الوطنية – الحامة- قسم المخطوطات- الجزائر- ورقة رقم:6.---- 8- للاطلاع على صورة توضح خصوصيات هذه اللغة ينظر الملحق رقم:1.

9- يتضح ذلك من خلال ما تم تحريره في الورقة الأولى من المخطوط: "**كتب بالأعجمية وترجمه له بالعربية ترجمان سلاطين مراكش أحمد بن قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم ابن الشيخ الحجري الأندلسي**" كما يظهر استعمال المصطلح نفسه في مواقع عدة من المخطوط نفسه. ينظر: بن غانم بن أحمد ابراهيم بن أحمد - المصدر السابق- ورقة رقم:1.

10- **أحمد بن قاسم الحجري:** ولد حوالي سنة 1570م في قرية أحجر (UGIJAR) إحدى قرى مملكة غرناطة، وإليها ينتسب. ولد وعاش في ظلمات محاكم التحقيق فأجاد اللغة الإسبانية، غادر الأندلس سنة 1598م قاصدا مراكش حيث عمل مترجما في بلاط أحمد المنصور الذهبي، رابع سلاطين الدولة السعدية، ثم على عهد ولده مولاي زيدان. عرف بجداله لعلماء اليهود والنصارى. خلال عودته من الحج استقر في تونس فكانت له صلة بأميرها العثماني الداي مراد؛ كما تعرف هناك على أحد مسلمي اسبانيا وهو الريس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن

زكريا الأندلسي (أواسط ق 17م) الشهير بالرباش من نولش من قرى غرناطة، ألف كتابا باللغة الألخميادية عن الجهاد بالمدافع فترجمه الشهاب إلى اللغة العربية. ينظر: عبد الله حجي- هجرة العلماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها)- د ط- السلسلة الأندلسية- د ب ن- د س ط- ص:77. ----- 11- بن غانم بن أحمد ابراهيم بن أحمد- المصدر السابق- ورقة رقم: 4.

12- سورة محمد- الآية 47. ----13- سورة محمد- الآية 47. ----14- بن غانم بن أحمد ابراهيم بن أحمد- المصدر السابق- ورقة رقم 5 .

15- المصدر نفسه- ورقة رقم: 5. ----16- الصحيح من العبارة: الصائم القائم القانت بآيات الله.

17- بن غانم بن أحمد ابراهيم بن أحمد- المصدر السابق- ورقة رقم: 6.

18- سورة البقرة- الآية 216. ----19- سورة التوبة- الآية 41.

20- يؤول الانتاج النثري الذي خلفه مسلمو اسبانيا في مجمله إلى سجلين متميزين فيما بينهما ومتكاملين في مرماهما. يتعلق الأمر في أولهما بالسجل الذي اندرجت فيه مختلف الكتابات الدينية المتمثلة عندهم في إعدادهم لمصاحف قرآنية ولتفاسير والأحاديث النبوية الشريفة بلغتهم الأعجمية، فضلا عن كثير من المجادلات مع النصارى. كل ذلك كان بغرض الذود عن الإسلام وعن خاتم المرسلين ﷺ، ولإشاعة الثقافة الإسلامية بينهم وتلقينها لأهلهم، ضمن استراتيجية المحافظة على ذاتهم وعلى هويتهم المهددتين بالثقافة النصرانية الغربية وبالانصهار فيه. أما ثاني هذين السجلين فلقد ضم إسهاماتهم المتميزة في فنون الشعر والرواية والرحلة.

21- إن عبارة "الاسترداد المسيحي" لها مدلولها التاريخي في تاريخ الأندلس الإسلامية؛ فقد عمل الإسبان منذ الفتح الإسلامي على اعتقاد استرجاع الأراضي التي فتحها المسلمون؛ إلا أن هذه الحركة لم تأت بنتائجها الحاسمة إلا على عهد ملوك الطوائف؛ وازدادت هذه الحركة استفحالا بعد اضمحلال حكم الموحدين، وعدم وجود دولة قوية في بلاد المغرب الإسلامي تستطيع انقاذ الأندلس من الخطر، كما فعل المرابطون والموحدون من قبل. فتوظيف هذا المصطلح أمر لا يخلو من الخطأ، ذلك أن بلاد الأندلس بقيت تحت الحكم الإسلامي ما يقارب ثمانية قرون من الزمن، وانصهر سكانها الأصليون مع الفاتحين المسلمين سواء كانوا أمازيغ أو عرب، ودخلوا في الدين الإسلامي أفواجا، وحتى الذين بقوا على الدين النصراني أو اليهودي، تعايشوا في سلم وتجانس مع المسلمين؛ فما حدث في بلاد الأندلس لم يكن احتلالا أو استبدادا وإنما كان فتحا تبعه عدل وحضارة وازدهار.

22- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: لوي كارديناك- ظاهرة التكهن علامة من علامات الهوية الموريسكية- تع : عبد الجليل التميمي- بحث نشر ضمن السلسلة الرابعة الموسومة بـ: تراجيديا طرد الموريسكيين من الأندلس والمواقف الاسبانية والعربية الإسلامية منها آراغون- منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات- تونس- 2011م.

23- بارلت لوس لوباز- تاريخ القضاء على عالم : الأدب الألخميادو – الموريسكي- المجلة التاريخية المغربية- ع : 18،17 جانفي 1980- ص: 146.

24- شكلت الخلافة العثمانية شوكة في خاصرة الإمبراطورية الاسبانية بنواياها التوسعية نحو وسط أوروبا. وخاض كارلوس في الواقع عدة صراعات ضد العثمانيين؛ فوجد نفسه غالبا ما يحارب على جبهتين في ذات الوقت: شرقا ضد العثمانيين وغربا ضد الفرنسيين. فالقوة العسكرية التي كانت تتمتع بها الخلافة العثمانية مكنتها من خوض معارك كثيرة على عدة جبهات، حققت خلالها انتصارات أبهرت أباطرة وملوك أوروبا. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: عبد الجليل التميمي، الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، ج:1، د د ن، تونس، د ط، 1984م.----25- بن غانم بن أحمد ابراهيم بن أحمد- المصدر السابق- ورقة رقم: 7 .

26- يعتبر الجفر في زعم الشيعة علم يحيط بكل شيء، ويستدل منه على تفسير معاني القرآن على أساس باطن الكلمات والعبارات، لا على ظاهر معناها، وسمي الكتاب باسم الجفر على اسم جلد ولد الماعز، ومن الافتراء ما رواه الكليني عن أبي عبدالله جعفر الصادق أنه قال "وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟ فقيل له : ما الجفر؟ قال : وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل" هذا في الوقت الذي تبرأ فيه علي ابن أبي طالب أن يكون اختص هو أو أحد من ذريته بأي علم خاص، ومع ذلك يجعل الكليني الجفر في كتابه أحد المصادر الأربعة الرئيسة للآثار عند الشيعة الاثني عشرية، والواقع أن عقيدة الجفر التي تقوم على حساب الحروف قد تسربت الى الشيعة عن طريق اليهود وطريقتهم في حساب الجمل، وإن كان أصلها يرجع الى الفلسفة الفيثاغوسيه في الأعداد وأول من قال بها الشيعه الخطابية كما يقرر ذلك محمد أبو زهره متابعا للمقريزي. وقد علق الغزالي على هذا الأمر فذكر أنه يعالج المنهج الباطني النصوص على أنها رموزا وإشارات، إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة ومن ثم يعالجون الشعائر الدينية، والأحكام العملية على أنها رموز وأسرار، وبهذا فإن أهل الباطن (الباطنيون) فهم الذين ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة، التي هي من شأن العلم الحق عندهم، "علم الباطن". ينظر: أبو حامد الغزالي- فضائح الباطنية- تح وتق: عبد الرحمان بدوي- دار المعارف- مصر- د. ت- ص:.56

27- من أهم المصادر التي كتبت حول الجفر كتاب الوشى المصون واللؤلؤ المكنون في علم الخط الذي بين الكاف والنون وهو عبارة عن موسوعات واسعة في علم الجفر والحروف أورد فيها مؤلفها ستمائة وثلاثة وعشرين علم لأحمد بن محمد؛ أيضا العلم المخزول في علم الخواص وهو مجلد على أجزاء. وعيون الحقائق وكشف الطرائق ذكره في الجفر وهو على ثلاثين باب كل باب في علوم غريبة الجامعة هو كتاب

في الجفر منسوب الى الامام جعفر الصادق. ينظر: أحمد زكي- موسوعة العلوم العربية وبحث على رسائل اخوان الصفا- ط:1- المطبعة الأميرية- مصر- 1308هـ- ص ص: 59، 60. -----28- حايك سيمون- ثورة ابن أمية، أو ثورة الموريسكيين- د. د. ن- د ب ن- 1996 - ص47، 48.

29- المخطوط متوفر بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم: 5120.

30- جمال عبد الرحمن- ثقافة موريسكي- ضمن مجموعة من البحوث نشرت في: دراسات موريسكية- تر وتق: جمال عبد الرحمن- ط:1- المركز القومي للترجمة- القاهرة- 2008م- ص: 112. -----31- المخطوط رقم: 4935 نقلا عن المرجع نفسه- ص: 112.

32- عبد العالي بروكي- كتاب المغازي الموريسكية استلهام الملحمة واضفاء طابع البطولة على الحكايات- مجلة القدس العربي- 23 أوت 2011م- الشبكة العنكبوتية موقع:www. Google. Fr ، 2011/11/04م، 14،05سا. ص: 1.

33- المرجع نفسه- ص:1.----34- بن غانم بن أحمد ابراهيم بن أحمد- المصدر السابق. ورقة رقم 7.----35-المصدر نفسه. ورقة رقم: 8.

36- لعل الظاهرة التي استقطبت معظم الباحثين عند دراستهم لمظاهر الحياة اليومية لمسلمي إسبانيا هي أسلوبهم في الحفاظ على دينهم بإظهار النصرانية وإبطان الإسلام، فكانت التقية الوسيلة الفعالة أمام أساليب التمزيق والتفريق التي اتبعتها السلطات الكنسية والرسمية في اسبانيا. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر بدرو لونغاس- الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين- تع: عبد الرحمان جمال- منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق- زغوان- 1992م.

37- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول عمل محاكم التحقيق ينظر:

Azner Cardona - Explusion Justificada de los Mariscos Espagnoles - Capitulo 2- Parte2

38- بدأت الحملات الصليبية على الأندلس من الشمال إلى الجنوب في شكل طرد جماعي لسكان المدن ومصادرة ممتلكاتهم، حيث هاجر المسلمون نحو الممالك الجنوبية المحاذية لشمال إفريقيا. لكن القادة الصليبيون غيروا خطتهم عند وصولهم إلى مملكة غرناطة حيث بدأوها من الجنوب وذلك بعد انتشار أخبار عن إمكانية وصول المد الإسلامي من الجنوب، لذلك فقد سقطت مالقة قبل غرناطة بحوالي خمس سنوات. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب-تح: بروفنسال ليفي- ج:2 - ط: 3- دار الثقافة- بيروت- 1983م.

39- لقد أسهمت عدة نكبات في سقوط الأندلس وضياعها من يد المسلمين، وكل الكوارث التي عرفتها المنطقة لعبت دورا بارزا في رسم معالم المحنة وتحديد مسارها، عبر القرون، فهناك منعطفات حاسمة على طريق المحنة، وذلك لارتباطها بظروف زمانية أو مكانية خاصة، أو لما تميزت به من خصوصية نوعية.

40- خافيركاستير فرناندیس- النبلاء الموركسيون: وهم تاريخي وواقع اجتماعي- أعمال المائدة المستديرة بعنوان: الأدب الألخميادو – الموركسي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي- منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات- المعهد الأعلى للتوثيق- تونس- أبريل 1995م - ص ص : 172، 173.

41- **كالوس الخامس**: ولد في 24 فبراير من عام 1500م من خوانا "Ruina" في هولندا. تتلمذ على يد وليام دي كرويحاكم شيفر (Chièvres)، بعدها أتم تعليمه أديريان الأترشتيAdrian Utrecht "؛ كما ساهمت عمته الأرشيدوقة مارغريت "Marguerite" هابسبورغ في تربيته وتكوينه. وقد تلقى الأمير الشاب كل تعليمه في الفلاندر فتشبع بالثقافة الفلمنكية، رغم أصوله النمساوية الإسبانية. ينظر: عادل سعيد البشتاوي- الأندلسيون المواركة (دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة)- مطابع أنترناشيونال برس- مصر- 1403هـ/1983م- ص: 132.

42- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضع ينظر:

Henri Lapeyre, géographie de l'Espagne morisque, S.E.V.P.E.N, Paris, 1959

43- ملحم حسن- التحليل الاجتماعي للسلطة- د ط- منشورات دحلب- الجزائر- د س ط- ص:60.

44- سمير نعيم. النظرية في علم الاجتماع- ط:3- دار المعارف_ القاهرة- 1982 م- ص: 120.